الزمن المستغرق لإنجاز قراءة هذا الكتاب ٢٠ دقيقة فقط

مِنْ روائـــعِ وبدائـــعِ

القَصَـصِ الواقعيّــةِ والافْتِراضِيّــة

في الصَّدقـــات

(الحِزْمَةُ الأولى)

١ – ٧ قصة وتعليق

انتقاء وتعليق :

الدُكتُور/ محمّد حسَن المُلا الجُفَيرِيّ

دار مرويـــات للطباعــة والنشــر
الإصدار الإلكتروني (٢)

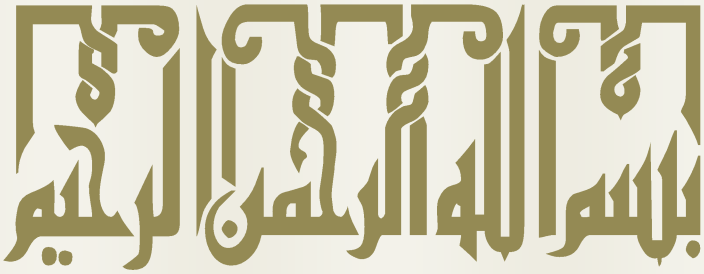

عناوين التواصل مع المؤلف :

ت/ 00965 – 50 290 303

تويتر/ @mohamdaljefiri

إيميل / al-jefiri@hotmail.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

شوال ١٤٤١هـ / يونيو ٢٠٢٠ م

الإصدار الإلكتروني الثاني

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار مرويات للطباعة والنشر

هي دار تحت التأسيس في دولة الكويت، تعنى بنشر الكتب والدراسات الشرعية والتاريخية والأدبية والاجتماعية وأدب الطفل (ورقيا وإلكترونيا)

المحتويات

القصة الأولى : (ملـح العـزة) ٥

القصة الثانية : (حـذاء العـزة) ٨

القصة الثالثة : (علبـة الجبـن التي لا أنساهـا) ١٢

القصة الرابعة : (أبى أبي الأبي .. رفـع الإيجـار !) ١٥

القصة الخامسة : (لقـد سقـط المـال يـا سيـدي) ١٩

القصة السادسة : (تَعَفَّـفَ .. فَعـافى اللهُ حَقَّـهُ) ٢٢

القصة السابعة والأخيرة في هذه الحزمة : (أم المعاقيـن .. وبعد ٥٧ سنة) .. ٢٨

القصـة الأولى :
(مِلْـحُ العِــزَّة)

تَقْدِمَـــةٌ

الفاقة والحاجة ذُلٌّ، وفي القرآن الكريم نجد أن الله وصف المسكنة وصفا مشعرا بذلك، حين قال الله تعالى : ﴿**أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾**﴾[سورة البلد].

فتأمل التصوير والوصف في قوله:{أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} " أي: قد لزق بالتراب من الحاجة والضرورة ".[١]

" يُقَالُ: تَرِبَ، إِذَا نَامَ عَلَى التُّرَابِ، أَيْ: لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يَفْتَرِشُهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَهُوَ فِي الْأَصْلِ كِنَايَةٌ عَنِ الْعُرُوِّ مِنَ الثِّيَابِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ الْجَسَدِ وَالْأَرْضِ عِنْدَ الْجُلُوسِ وَالِاضْطِجَاعِ ".[٢]

وقليلٌ من الناس من يتفطن إلى رفع كرامة الفقير والمحتاج، وهو ما قد يكون مصدرا لسعادته أكثر من المال الذي تضعه في يديه، فالقليل من يسعى إلى إعزازه - معنويا - خلافا لواقعه في المنظومة الاجتماعية التي تعطيه أدنى مراتب الاهتمام والاحترام والتوقير والتبجيل، لأن النفوس بطبيعتها تعظم العظيم والمتعاظم، ويندر أن تجد من يكرم الناس ويوقرهم لمجرد إنسانيتهم.

---

[١] تفسير العلامة السعدي (ص٩٢٤).
[٢] تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر بن عاشور (٣٥٩/٣٠).

أما المؤمن الحق، فيستصحب على الدوام قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[سورة الإسراء:٧٠]، وقوله جل وعلا : ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[سورة الحجرات:١٣]، فيعطي الإنسان حقه من التكريم والاحترام لمعنى الإنسانية الذي فيه، ويعطي أهل التقوى مزيدا من الإكرام والتبجيل للتقوى التي جملوا بها إنسانيتهم وزينوها بها.

مَعَنا في هذه القصة القصيرة، ذات العِبْرة الغزيرة، شخصية من هؤلاء القِلَّة الذين ذكرناهم، لنفسحَ المجال إذن لناقلها لكي يحدثنا بها :

يقول أحدهم :

صديقي بالأمس.. سمع أمه تطلب من جارتهم قليلا من الملح.

فقال لها: يا أمي، لماذا تطلبين منهم الملح وقد أحضرت لكم كيسا كبيرا بالأمس؟

فقالت له : يا ولدي، هم دائما يطلبون من عندنا أشياء وهم فقراء،

فأحببت أن أطلب منهم شيئا يسيرا حتى لا يكلفهم، مع عدم حاجتي له أصلا

لكنني أحببت أن أشعرهم أنني أنا أيضا أحتاج إليهم، لكي أُسَهِّل عليهم أن يطلبوا أي شيء يحتاجونه من عندنا وأن لا يخجلوا.

التعليق :

هنا فقه النفوس .. وأدب الأعطيات ..

وعيون تنظر لما وراء الأكمه وما بين السطور ..

كثر الله من أمثالها ..

وحجب عنها المكدرات ما حييت وبقيت ..

وحرم وجهها على النار .. وأنزلها منازل المقربين الأبرار .

القصة الثانية :
(حذاء العزة)

تَقْدِمَـــةٌ

لغة العيون والنظرات أصدق في كثير من الأحيان من الكلمات والعِبَارات، وقسمات الوجوه وملامحها مؤذنة في كثير من الأحيان بما تحمله من مشاعر وانفعال..

تأمل في وجه أرملة فقيرة ذات عيال وفاقة، وانظر في عيونها تجد أسطرا مرقومة من الهم والشقاء ..

انظر في وجه طفل فقير، تجد نظرات الحرمان والأمنيات مترجمة على جبينه..!

بل صافح كف ذاك المسن الذي قضى حياته بين الفقر والشقاء، وأخبرني بعدها عن خشونة يده وتورمها بما سعت في طلب الرزق وكد العمل ..!

كنا إذا زرنا منازل الفقراء، وأماكن الإيواء، في مختلف البلدان التي رحلنا إليها لعمل الخير والبر - من فضل الله علينا -، نجد الطفل الفقير أشد ما يكون فرحا بقطعة الشوكولاته التي تخرجها له، أو اللعبة الصغيرة التي ربما لا تطمح إليها نفوس أطفالنا، ويأبونها نظرا لما هم فيه من نعمة غالية من رب عظيم.

الناس في عطائهم لأطفال الفقراء، صنفان : صنفٌ يعطي وينصرف، أو يكفل يتيما لا يراه ولم يَرَهُ ولن يراه. وصنفٌ يعطي ويقف، يستشعر لذة العطاء، ونظرات السعادة في النفوس والوجوه المُعطاة، ويجعل من هذا الموقف شحنا إيجابيا له لمزيد من العطاء.

ولذا تجد بعض الخيِّرين من كفلاء الأيتام، يطلب السفر إليهم والالتقاء بهم، والاجتماع على مائدة معهم، وتلمس احتياجاتهم، وبعضهم يصطحب أولاده معه، ليلعبوا مع أيتامه، ويتعارفوا على بعضهم، وليغرس في أولاده حب العطاء والخير، ليستمروا على نهجه بعد أفول أيامه.

تعال معي نقف على هذا الموقف العطائي الكريم، الممتلئ حنانا وشفقة ورحمة:

يقول أحدهم :

وقف طفلٌ صغيرٌ رَثَّ الثياب والهيئة، أمام شخصٍ غنيٍ يتصفح هاتفه

وبيد الطفل علبة مناديل يبيع منها

لَحِظَهُ الغني فناداه وأخرج من محفظته دولاراً واحداً وأعطاه الطفل دون أن يأخذ منه المناديل.

ذهب الطفل وبيده الدولار أمام محلٍ لبيع الأحذية، وأخذ ينظر إلى حذائه المهترئ، ويُمْعِنُ النظر إلى حذاءٍ جميلٍ في واجهة المحل، وعليه ورقةٌ مكتوبٌ فيها (سعر الحذاء ٥٠ دولاراً).

لَمَحَهُ الرجل الغني الذكي، فدخل المحل متجهاً إلى البائع، وبعد لحظاتٍ خرج وهو يبتسم في وجه الطفل، وركب سيارته وغادر المكان، وما هي إلا ثوانٍ معدودةٍ إلا وقام صاحب المحل بتبديل تسعيرة الحذاء بورقةٍ مكتوبٍ عليها (سعر الحذاء = دولارٌ واحدٌ).

هَرَعَ الطفل مسرعاً إلى المحل

واشترى الحذاء ظنّاً منه بأن البائع أجرى تخفيضات وحسومات

خرج الطفل بالحذاء الجديد، ومعه فرحٌ عارمٌ ممزوجٌ بابتسامةٍ عريضةٍ تملأ وجهه.

التعليق :

أحيانا نغفل عن مثيرات البهجة والسرور في نفوس الضعفاء، بحجة أن الواحد منهم بحاجةٍ للطعام أكثر من الحذاء، واللباس أكثر من الجهاز، والدواء مثلا أكثر من اللعبة ..

مع أننا لو أمْعَنَّا النظر؛ سنجد أن الشيطان يصرفنا بمثل هذه الهواجس والشُّبَهِ عن فعل الخير الأكمل. والسؤالُ الأعظم الذي يمكن أن يَنْسِفَ هذه الشبهة في نفوسنا ويستأصلها من عقولنا، هو: ألا يمكن الجمع بين الخيرين؟ فأعطي الفقير لقمة ولعبة، أو دواء وجهازا، أو لباسا وتذكرة لعب وترفيه؟

إن زماننا هذا المحاطُ بكثرة الملهيات وصور الاستمتاعات، التي لم تعد مجرد طبيعةٍ خَلّابةٍ مجانيةٍ، بل استمتاعاتٌ مُصَنَّعَةٌ، ومُلْهياتٌ مُعَدَّةٌ، ندفع فيها مئات الدنانير والريالات لتحصيلها، انظر مثلا إلى دولاب ملابسك بما فيه من ماركاتٍ عالميةٍ كَلَّفَتْك الكثير، وانظر إلى درج ساعاتك .. بخورك وعطورك .. دولاب أحذيتك ونعالاتك، بل انظر في فواتير المطاعم والمقاهي، بل حاول أن تستذكر كلفة سفرك الترفيهي والسياحي ..

كل ذلك مُتَعٌ مباحةٌ ذَهَبَتْ لذَّتُها، وبَلِيَتْ بَهْجَتُها، وربما صار مصير كثيرٍ منها: الرمي في الزبالات، أو تقديمها لذوي الحاجات لا لإبهاجهم، وإنما تخلصاً منها بعدما انقضت حاجتك لها.

فإياك أن ترمق فقيراً بعين الحنق والغيظ لمجرد أن ترى في يده هاتفاً ذكياً مثلاً، وأنترنتٍ لم يعد يستغني عنه أحدٌ أبداً، بل هو دفعُ مالٍ يسيرٍ لتوفير مالٍ كثيرٍ، كان سيُصْرف من دونه.

القصة الثالثة :
(علبة الجبن التي لا أنساها)

تَقْدِمَـــةٌ

العطاء لذةٌ وسعادةٌ للمعطي، قبل أن يكون لذةً وسعادةً للآخذ.

وأجمل العطاء قذفا في النفس سُيولاً من السعادة وفيضاناتٍ من السرور؛ هو العطاء مما تحبه، والعطاء لما أنت بحاجةٍ إليه، كما قال تعالى : ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[آل عمران: ٩٢]، وكما قال سبحانه وتعالى عن الأنصار: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[الحشر: ٩].

وفي هذا الموقف، حكايةٌ واقعيةٌ عن علبة جبنٍ لم ينْسَها صاحبُها ما بقي ..

تعال نستمع إليه ونعرف سِرَّها :

يقول أحدهم : في إحدى أيام الشتاء، ذهبت وقت العصر - وهو وقت غفلةٍ بعد الدوامات والأعمال غالبا – لإحدى البقالات، واشتريت بعض حاجات المنزل.

في طريق العودة، لمحت امرأةً مع ابنتها الصغيرة ذاتِ الخمس سنواتٍ تُنَقِّبان في حاويةٍ كبيرةٍ للقمامة، موضوعةٍ في ساحةٍ تَحُفُّها عشراتُ العمارات والشقق السكنية، ولا تسأل عن رثاثة الثياب، وسوء المنظر والنظافة، يقول: فأوقفت عجلات السيارة، وأنزلت طرفاً من زجاجة النافذة قائلاً لها: عن ماذا تبحثين يا أختي؟ فقالت: أجمع بقايا الطعام والخبز، ثم أقوم بتنظيفه ووضعه في الشمس، ثم أطعمه أولادي الصغار. وقد كانت بالفعل تحمل كيساً نظيفاً شفافاً استطاعت أن تجمع فيه كسر خبزٍ وأشياء أُخَر.

يقول هذا الرجل، لقد هزني الموقف، وحرَّك وجداني، وودت لو أنني أملك من المال ما يمكنني أن أغير من هيئتهم بل من حياتهم، ولم يكن قد تبَقَّى معي من مالٍ أحمله في محفظتي سوى بضعة دنانير، فأخرجتها وأعطيتها، ثم قمت مباشرة بفتح كيس البقالة، واقتسمت كل ما فيه.. فلما نظرت إلى الجبن، فإذا هو علبةٌ واحدةٌ اشتريتها لا ثاني لها، وكانت هي سبب خروجي من المنزل أصلاً للذهاب إلى البقالة، وجاءني الشيطان سريعاً بأزِّه اللعين ليقول: كفاك ما أعطيتها، علبة الجبن لك، زوجتك تنتظر العلبة لتصنع الطعام لأولادك.. لكنني قطعت عليه السبيل سريعاً فقلت : تفضلي علبة الجبن.

هنا، شعرت بسرورٍ غريبٍ يَغْمُرُني، وسعادةٍ عظيمةٍ تَحُفُّني، وعُدْتُ إلى البيت وأنا أحمل معي هذا الشعور، فوضعت ما تبقى من أغراض البقالة بين يدي زوجتي، فلم تسأل عن جبن ولا غيره.

التعليق :

يا لها من علبة جبنٍ لا تنسى !

يقول صاحبها : إني لأجد حلاوة طعم الجبن كلما أكلته، ارتباطاً بهذا الموقف.

لقد كانت تبحث عن خبزٍ يابسٍ مَرْمِيٍّ في الزبالة لتَطْعَمَه، فما ظنك بتلك الليلة التي قضتها هي وابنتها مع علبة الجبن هذه وبقية الحاجيات.

يقول صاحبي : هذه المواقف المُسعدة لا تُشترى بالمال، ولا تتكرر إلا عفواً وقَدَراً ! كما أنَّ مشاعرها لا تُوهب، بل إنَّ وَصْفَها أقل بكثيرٍ من حقيقتها، بل هي كالمذاق، مهما حُكِيَ لك عنه فلن تتذوقه ولن تقف على حقيقة طعمه ما لم تتذوقه بنفسك، فما عليك إلا أن تُجَرِّب، و(من جَرَّب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي).

القصة الرابعة :
(أبى أبي الأبي .. رفع الإيجار !)

تَقْدِمَـــةٌ

لعله ليس من المستغرب في واقعنا أن يمتنع مالك العقار (المُؤَجِّر) عن رفع قيمة الأُجرة على (المُسْتَأجر) رُغم أحقيَّته القانونية في ذلك، واطِّراد العُرْفِ في ارتفاع الأجرة نسبيا عما قبلها من السنوات.

والواقع يحكي أن حدود العلاقة بين مالك العقار والمستأجر تنتهي عند الحدود القانونية التي تنظم العلاقة بينهما، فعلى الأول توفير مشترطات العقد، وعلى الآخر تقديم الأجرة كاملةً في موعدها.

لكن ثمّة حكاياتٍ وعلاقاتٍ لا تخطر على بالٍ، وليس لها نظائر في عموم الأحوال ..

أَتَذَكَّر من حدثني عن رجلٍ عَرَضَ أربع شُققٍ في بيته للإيجار بنصف ثمن المثل، ووفَّر سيارةً كبيرةً لسائقه وعرض على مُستأجريه أن يصطحب أولادهم مع أولاده لتوصيلهم إلى المدرسة يومياً ذهاباً وإياباً.

بل، أراد نوعاً مُتميزاً من الصدقة، فتَكَفَّل هو بتوفير (سلندرات) الغاز التي لا يخلو منها بيتٌ للطبخ، فكان يُعَبِّئها ويستبدلها على حسابه لمستأجريه الساكنين معه في المنزل.

ومن تلك القصص والأحوال العجيبة .. هذه القصة التي معنا ..

وصاحبها هو والدي الفاضل :

(حسن بن علي الملا الجفيري) [١٩٤٧م – ٢٠١٦م]

رحمه الله رحمة واسعة وجميع موتى المسلمين

إليك طرفها وصفوها ، ولا تنس الدعاء له ..

في منزل والدي رحمه الله، ملحقاً مكوناً من غرفتين وحمامٍ ومطبخٍ، واعتاد خلال سنواتٍ طويلةٍ أن يغلقه ويجعله مخزناً للأغراض.

وفي يومٍ من الأيام، طلب مُؤذن أحد المساجد من أخي أن يسأل له عن ملحقٍ ليستأجره سكنا له ولأولاده، فتكلم أخي مع والدي رحمه الله، فقال لا بأس، استأجره له بالمبلغ الذي يستطيعه، وكانت وزارة الأوقاف مشكورة توفر عن طريق الأمانة العامة للأوقاف بدل سكنٍ (١١٠ دنانير) ريثما تنتهي الوزارة عن طريق الأمانة من بناء المساكن الوقفية لشاغلي الوظائف الدينية في المساجد(*)، ومن حينها لم يخلُ الملحق من مستأجرٍ على مدى سنواتٍ.

أتذكر أنَّ آخر مستأجرٍ قبل وفاة والدي، كان رجلاً متديّناً صالحاً، وزوجته كذلك، ولهم ابنٌ في غاية الأدب والذوق، وقد بقي مستأجراً للملحق على سنواتٍ عديدةٍ بقيمةٍ إيجاريةٍ (١٠٠ دينار فقط)، وهي أقل من سعر السوق بقليلٍ في بداية الأمر، حيث كان الملحق السكني في بيتٍ عائلي بمنطقة الجابرية ويشتمل على غرفتين

(*) وهذه من تبرعات أهل الكويت الخيرين، حيث خصصوا أوقافاً يعود ريعها للمساجد والعاملين فيها، وبعضهم نص صراحةً على توفير سكنٍ للأئمة والمؤذنين، وهذه قربةٌ عظيمةٌ يتقربون بها إلى الله في خدمة بيوته ومن يخدم بيوته، وهي أيضا من النعم التي أنعم الله بها على أهل الذكر والقرآن، والإمامة والأذان.

ومطبخٍ وحمامٍ لا يَقِلُّ عن ١٢٠ ديناراً.

وبعد سنواتٍ من استئجاره، تحدث أخي مع المستأجر عن رغبته في رفع الإيجار، وقال له: لا أريد أن أحدد لك قيمة الزيادة، أريدك أن تعطي الملحق حقه من التقدير للأجرة، فاتفقا على زيادة ٢٠ دينار [وقد كانت القيمة الإيجارية ارتفعت على مدى تلك السنوات لتصل ما بين ١٥٠ ديناراً إلى ١٨٠ ديناراً]، وطلب المستأجر من أخي تأخير الزيادة بضعة أشهر [يبدو لظرفٍ ما لا أذكر أنه أفصح عنه، ولم يسأله أخي عنه].

فلما مضت الشهور، وجاء المستأجر بالأجرة مع الزيادة (١٢٠ ديناراً)، انصرف أخي إلى والدي يخبره أنه طلب من المستأجر رفع الأجرة ووافق، فما كان من والدي إلا أن غضب من صنيع أخي، ورفض الزيادة، وقال كلاماً مفاده: أنَّ هذا الرجل وعائلته بهدوئهم وتدينهم وأخلاقهم، لا أرفع على مثله، بل أرغب أن أقول له (ادفع ٩٠ بدل ١٠٠)، فحاوَلَ أخي اقناع والدي، وأن المستأجر راضٍ، وأن هذا أقل من حق الأجرة الفعلية السوقية، فأغلق والدي الموضوع بطريقةٍ ذكيةٍ قائلاً : إذا لم تُرجع الزيادة، سأخبره أن يسكن مجاناً بلا أجرة.

التعليق :

هنا لا تعليق ..

هنا تسكب العبرات

ويشتعل الشوق من وقود الذكريات

فرحمك الله يا والدي

الطيب ابن الطيب

لم أرَ إجماعا من جمهور المعزين على صفةٍ فيه، كإطرائهم لطيبته وتحدُّثهم عن طيب قلبه ومواقفه.

طيَّبَ الله ثراك

وشكرَ الربُّ مسعاك

وجعل قبرك نوراً وسروراً وحبوراً

ومنزلاً مباركاً وروضةً من رياض الجنان

ومن نافلة القول أن أقول : لقد كان هذا الرجل المستأجر من أوائل الحاضرين في المقبرة لدفن والدي، بل لم يستطع أن يقف مع جمهور الناس على قبره لحظة دفنه، فنزل معنا إلى القبر وباشر الدفن جزاه الله خيرا، وغفر الله لنا ولجميع المسلمين.

القصة الخامسة :
(لقد سقط المال يا سيدي)

تَقْدِمَـــةٌ

قد يَعْرِض لك موقفٌ يُظْهِرُ حاجتك، لكنَّ إباءك يرفض أن تكون يدك السُّفلى، وأن يكون لغيرك فضلُ يَدٍ عليك.

فإن من تعود العطاء برغبةٍ واحتسابٍ، تثاقل الأخذ مهما كانت المبررات والأسباب.

وكم رأيتُ بعيني عالماً فاضلاً يُلقي محاضرةً فيأبى عقبها التكريم مهما كانت صورته : شهادةً، مكافأةً، هديةً، صندوقاً، كيساً مُغلقاً لا يدري ما بداخله.

وكم رأيت من إمامٍ يمتنع عن حضور حفلات وزارة الأوقاف التي تُقيمها بعد الفراغ من موسم رمضان لتكريم القراء والمشاركين، حِفاظاً على نِيَّتِه، وإباءً عن خدش إخلاصه بتلك الهدايا والشهادات، والكلمات والثناءات.

بل أعرف من الرجالات العاملين في مؤسسات الخير والعطاء، من يمتنع من أخذ مكافأةٍ أو راتبٍ، بل يدفع من ماله لإقامة مشاريع غيره والإشراف عليها وتفقدها.

إنَّ مَنْ حَسُنَت سريرَتُه، حَسُنَت سيرتُه ومسيرتُه.

ولقد رأيت يوماً ما مشهداً مُصوراً لا أدرى - حقيقةً - عن مدى وقوعه فعلا، أو أنه مجرد صورةٍ تمثيليةٍ يُراد من خلالها غرس فكرةٍ، لكنه أعجبني كثيراً بما حواهُ من مهارةٍ لمساعدة الآخرين ممن يأبون المساعدة، دون جرحٍ لكرامتهم، ولا خدْشٍ لإبائهم، ولا مساسٍ بعزة نفوسهم.

دعني أترجم لك هذا المشهد بالأسلوب القصصي ..

دخل رجلٌ مُسِنٌّ الدُّكانَ ليشتري حاجاته، فلما انتهى من جمع أغراضه توجه إلى المحاسب، واصْطَفَّ خلف الرجل زبوناً آخر من فئة الشباب.

وحين أنهى المحاسبُ حساب الأغراض، أخبر الرجل المسن بالثمن، فأخرج محفظته، واستخرج المال الذي فيها، فكان أقل من الثمن المطلوب، هنا بدأ الشعور بالإحراج .. وظهر على قسمات وجهه أثر الانزعاج.. وأخذ يلتفت يمينا ويسارا بنظرات مؤرقة يخشى أنَّ أحداً من الزبائن حوله يشهد موقفه الذي صعب عليه ..

وفي هذه اللحظات، يعز على الزبون الشاب الذي يقف خلفه أن يرى الرجل المسن بهذا المشهد، الذي لا يرضاه لنفسه ولا لوالده، فقام على الفور بإلقاء فئةٍ ورقيةٍ من المال تحت قدم المسن، ثم أشار إليه بها قائلا: (لقد سقط المال يا سيدي) ..

فيلتفت إليه المسن ويجد المال تحت قدمه، فيقوم بالتقاطه بشعور من العزة والرضى يحسب أن المال الساقط منه، ولا تسأل عن علامات الفرح والسرور على وجهه من بعد علامات الحيرة والتضايق.

التعليق :

(الصدقاتُ مهاراتٌ وابتكاراتٌ) ..

(العطاءُ بذكاء) ..

(الحياة لا تكسر من حفظ الناس من الانكسارات)!

(الصدقة الصامتة) .. (الصدقة الحَيِيَّة) .. (الصدقة التي ترفع وتعز .. لا تخفض وتذل)

وسأترك السطر المتبقي لك لتملأه بعبارتك:

.....

القصة السادسة :
(تَعَفَّفَ .. فعافى اللهُ حَقَّـهُ)

تَقْدِمَـــةٌ

أحمدالله أن جعلني واسطةً وسبباً وصِلَةً بين بعض المحسنين والمحتاجين، وذلك من حين أنْ مَنَّ الله عَلَيَّ بالإمامة والخطابة في أحد مساجد بلدي الكويت منذ عام ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

حدَّثني صديقٌ ثقةٌ يعمل في إحدى المبرات الخيرية، أن معلومةً وردته عن أسرةٍ قِوامُها رجلٌ مُسِنٌّ وزوجته وابنته، يعيشون في بيتٍ شعبيٍ يكاد يخلو من الأثاث، وهم ليسوا مجرد فقراء ومحتاجين، بل هم في قِمَّة الفاقة والمسكنة، لكنَّ ثَمَّة مشكلةٌ تواجه كل من يعرف هذا الرجل المسن، وهي شدة حيائه وتَعَفُّفِهِ عمَّا في أيدي الناس، فيخفي حاله، ولا يطلب من أحدٍ شيئاً، ولا يقبل مالاً يُتَصَدَّقُ به عليه، ودائماً ما يخبر من يسأله بخلاف واقعه ليشعره بعدم حاجته.

يقول صاحبي: اتصلت عليه، فسلمت وسألت، ثم قلت له: يا عم، أرغب بزيارتك في بيتك.

والرجل كما تقدم شديد الحياء، فلم يقل له: لماذا تريد زيارتي؟ بل رحَّبَ به واتفق معه على اليوم والساعة.

يقول صاحبي : انطلقت إليه، فوصلت، ثم طرقت الباب ففتح لي وجلسنا في غرفةٍ صغيرةٍ هي صالة البيت بالنسبة لهم، ولا أنسى أن أخبرك أنها صالةٌ بلا كنباتٍ، بل ليس فيها إلا الكاشي، وقد وضع قطع سِجَّادٍ لنجلس عليها، وقال: اسمح لي يا ابني، فلم يسعفني الوقت للذهاب لشراء الكنبات الجديدة.

يقول صاحبي : فعَرَّفْتُه بنفسي، وقلت له أنني أتيت للمساعدة في أي شيء تريده. يقول: فتمَعَّر وجه الرجل قائلاً: أشكرك يا ابني، ليس عندنا حاجة، هنالك أناس كثر يمكنك الذهاب لهم وتلمس حاجاتهم، أما نحن فقد أغنانا الله تعالى.

يقول صاحبي: وبعد أن فرغت من شرب الشاي، طلبت منه الكشف عن المطبخ، فسألني لماذا؟ فقلت له: لأنظر هل هو بحاجةٍ لأجهزةٍ كثلاجةٍ وطباخةٍ ونحوهما. فقال لي الرجل: لقد أخبرتك أننا أغنانا الله وعندنا كل شيء. فقال صاحبي: لم يبق لي سوى أن احتال عليه، فقلت: طيب يا عم، لابد أن أسجل معلومات للبيت الذي زرته، لأني محاسَبٌ مِنْ قِبَلِ المَبَرَّة عن هذه الزيارة والتَّفَقُّد، فأريد أن أنظر للمطبخ نظرةً سريعةً لتسجيل المعلومات ومَلْءِ الخانات.

يقول: فوافق الرجل على كراهةٍ منه، ثم استأذن بالقيام لتنبيه أهله، يقول صاحبي : انصرف الرجل، وأنا أسمع أصواتاً في المطبخ، فمكثت ما يزيد على خمسة عشر دقيقةً، ثم جاء الرجل بعدها وقال: تفضل. يقول صاحبي: فلما دخلت المطبخ، وإذا به مهترئٌ جداً، والثلاجة قديمةٌ وبها أعطالٌ، فبادرني الرجل قائلا: سنستبدل كل ما في المطبخ في أقرب فرصة، ربما أذهب غداً لشراء ثلاجةٍ جديدةٍ.

يقول صاحبي: فقلت له: هل تسمح لي بفتح الثلاجة؟ ففتحها الرجل المُسِنُّ المتعفف وقال: انظر إليها، مليئةٌ بالأغراض، لقد أخبرتك أننا لسنا بحاجة إلى شيء

من فضل الله علينا. يقول: فنظرت فإذا هي كما قال مليئةٌ بالأغراض، لكنَّ أمراً ما كان ملفتاً لنظري، وهو أنَّ كل ما فيها مُغَلَّفٌ بأكياسٍ! فاستغربت، يقول: فلما وضعت يدي على تلك الأكياس، وبدأت أتفحص ما فيها، فإذا هي أكياسٌ داخل أكياسٍ، وليس فيها شيءٌ سوى الأكياس!!

لقد بَلَغَتْ العِفَّةُ بهذا الرجل المسن أن مكث في المطبخ مع ابنته في تلك الربع ساعةٍ التي انْتَظَرْتُه، ليقوما بملءِ أكياسٍ فارغةٍ ببقية الأكياس وتصفيفها في الثلاجة بطريقة ليوهمني أنها تغصُّ بالأغراض.

يقول صاحبي: هنا خنقتني العَبْرَة، وسالت مني الدمعة، وقلت: يا الله، أبقي من هذا الصنف المتعفف أناسٌ بيننا؟! لقد مَرَّتْ بي مئاتُ وربما ألوف الحالات في المبرة الخيرية، فلم أر متعففا كهذا الرجل، يحمله تعففه لأن يحتال لنفسه ليقنعك بعدم حاجته.

يقول صاحبي: فرفعت حالته للمسؤولين في المبرة، فأمروا – مباشرة - بشراء أثاثٍ لمنزله ومطبخه، وذهبت بالفعل من الغد إلى إحدى الشركات، وأوصلنا الأثاث له، ووضعناه أمام الأمر الواقع، فمنعه حياؤه من أن يَرُدَّنا.

قلت: وحين حدثني صاحبي بقصة هذا الرجل، قلت له: أبقيت له حاجة؟ قال: نعم، هو من أهل الحاجات الذين لا دخل لهم أصلاً.

فحَدَّثْتُ بعض المحسنين عن قصته – وكُنَّا في أواخر شهر رمضان -، فانهالت التبرعات له ممن أعرفهم وممن لا أعرفهم حتى تجاوزت الألفين دينار.

ووصلت بحمدالله إليه، وحسنت حالته.

لكن .. لم تنتهِ قصته بعد .. بل لم تبدأ بعد !

دعني أحدثك عن عنوان هذه القصة (تعفف .. فعافى الله حق):

دخل علي رجل في مكتبة المسجد قبيل صلاة العيد وبيده ظرف وضع به مالا وقال : هذه يا شيخ ٥٠٠ دينار للرجل الشايب المتعفف. فقلت له: شكرا لك، ولكن قد قضيت حاجة الرجل، بل وسلمناه فوق حاجته. فقال: أنا أريد مالي يصل لهذا الرجل بالذات، سواء احتاج إليه الآن أو مستقبلا.

أخذت المظروف من الرجل، فإذا هو ثقيل (يبدو أن الـ ٥٠٠ دينار كانت من فئة العشرات)، وكان من عادتي تفريغ ما في جيب ثوبي من الحاجات في درج في المكتبة، والخروج خفيفا سواء للصلوات أو الخطبة، وأخذت المظروف – من باب الزيادة في الحرص على المال – فجعلته بين مصحفين في جملة مصاحف للتوزيع المجاني على رفٍّ مخصص عندي في المكتبة.

فلما صلينا العيد، وانشغلت بعد الخطبة بالتبريكات ثم الجلوس في ديوانية المسجد مع أهلها لتبادل أطراف الحديث وشرب القهوة وشيء من التمر والحلويات، اتصلت بصاحبي الذي يعمل في المبرة، وأخبرته عن التبرع، فقال لي: (إن شاء الله بعد العيد أمر عليك لأخذه وإيصاله). عند ذلك لم أشأ أن أحمله معي خشية من الضياع أو السرقة، فقررت إبقاءه بين المصاحف.

ودارت الأيام تلو الأيام، فشرد عن ذهني ذلك المظروف، ونسيته مع زحمة الالتزامات والانشغالات، بل أزعم أن الله أنسانيه وأنساه صاحبي أيضا لحكمة بالغة يريدها، ستظهر في نهاية القصة.

مر على المظروف عام كامل ولم يطرأ لي على بالٍ ألبتة، وفي شهر رمضان المبارك، وفي ليلة ٢٧، اتصل بي أحد الفضلاء قائلا: يزورنا هذه الأيام حفظة صغار لا يتجاوز الواحد منهم خمس أو سبع سنوات من دول آسيا الوسطى، وهم لا يعرفون العربية، ويحفظون القرآن كاملا، ومنهم من يحفظه مع رقم الآية والصفحة! فرتبنا استضافة لهم بين الأربع ركعات من صلاة التهجد، ثم أخبرني الرجل الفاضل المصطحب لهم أنهم سيغادرون الكويت في الغد، وأنهم بحاجة إلى مصاحف يذهبون بها إلى بلادهم (أذربيجان وأوزباكستان ونحوها). فقلت له: تفضلوا مكتبة المسجد، لَدَيَّ رَفٌّ مخصصٌ لمصاحف التوزيع، وهي بأحجام وألوان وخطوط متعددة، فليختاروا ما يناسبهم.

ثم أحضرت كرتونا خاليا، وبدأت أحمل بيدي مجموعة من المصاحف وأعطيها للأخ الفاضل ليضعها في الكرتون. وسبحان الله العظيم، كنت أحمل قرابة ثلاثة مصاحف دفعة واحدة وأضعها في يد الرجل، ويضعها هو الآخر في الكرتون، فلما حملت المجموعة الخامسة أو السادسة وإذا بي أجد ظرفا أسفل تلك المجموعة، فأخذته وإلى تلك اللحظة لم أتذكره، ثم قرأت ما عليه فإذا هو خطي، مكتوب فيه: (٥٠٠ دينار للشايب المتعفف في منطقة الدوحة، يسلم ليد أبي يوسف الـ..... لإيصاله بعد العيد).

هنا.. تذكرت الرجل المتبرع الذي دخل علي قبيل صلاة العيد، وعجبت من طول مكث المظروف بين المصاحف، مع أن توزيع المصاحف يتم باستمرار لكل من يرغب! وازداد عجبي أن المظروف حفظ لصاحبه، الذي عف فعافى الله حقه، وقد كان بالإمكان أن يظل بين مصحفين يوضعان في الكرتون ويذهب إلى باكستان أو أذربيجان أو قرقيزستان.

التعليق :

سبحان الله العظيم ..

لقد تجلت حكمة الله في هذا الموقف ..

فلقد كانت التبرعات فوق حاجة الرجل المسن المتعفف في العام الذي قبله [قرابة ٢٠٠٠ دينار]، فادَّخَر الله له هذا المال [٥٠٠ دينار]، ليأتيه بلا سؤالٍ منه، ولا علمٍ مستجدٍ بحاجته، حتى أنني حينما اتصلت بصاحبي لم يتذكر أنني أبلغته يوم العيد بالمظروف، وأنه وَعَدَني أن يأخذه لإيصاله بعد العيد. بل يقول صاحبي : منذ أن قضينا حاجة الرجل، وأوصلنا المال له بقدرٍ كافٍ جداً، انشغلت بحالات أخرى ولم أسأل عنه.

ولله في خلقه شؤونٌ، وله الحكمة البالغة الباهرة .. وغفر لي تقصيري وزلتي.

القصة السابعة والأخيرة في هذه الحزمة
(أم المعاقين .. وبعد ٥٧ سنة!)

تَقْدِمَـــةٌ

في منطقة حَوَّلي الشهيرة، عاشت أم أحمد، تلك المرأة الفلسطينية الكبيرة منذ ما يزيد على ٦٠ سنة وربما أكثر.

وقد أنجبت أربعة أولادٍ ذكورٍ، قَدَّر الله أن يكون جميعهم من ذوي الإعاقة الحركية والعقلية الشديدة (جداً جداً جداً) !

فبدأت رحلتها مع المعاناة اليومية المستمرة، أسأل الله أن يثيبها على صبرها بأن يفتح لها أبواب الجنة الثمانية تلقاء ما تعانيه من اهتمامٍ بهم ورعايةٍ لهم، ولزوجها الذي طعن في السن، ورَقَّ عظمُه، ودَبَّت فيه الأمراض التي أقعدته عن الاستمرار في العمل.

تعال نتعرف على قصَّتها وتعفُّفِها وتسخير الله الناسَ لها :

أتذكر قبل سنواتٍ عديدةٍ [ما يقارب ٨ سنواتٍ تقريباً].. جاءني رجلٌ صالحٌ كبيرٌ في السن، أعرفه في المسجد والصلوات والخطب، [وهو بالمناسبة قريب لجدي رحمه الله من جهة والدتي حفظها الله وشافاها] فقال لي: يا شيخ مُحَمَّد، إذا عندك من مال الزكاة الذي يأتي به بعض المزَكّين إليك ما هو زائدٌ عن الحالات التي لديك، فعندي حالاتٌ أعرفها وأتفقدها منذ سنواتٍ طويلةٍ، وأتعاهدها بالصدقات والزكوات.

فقلت له: أبشر يا عم، هل من الممكن أن تزودني بمعلوماتٍ عن هذه الحالات (عددها – حالتها – حاجاتها ... إلخ).

فجاءني من الغد، وأحضر معه دفتراً بالياً ذا ورقاتٍ مُصْفَرَّةٍ يدل حاله على أنه يقوم بهذا العمل الخيري منذ سنواتٍ عديدةٍ، وبدأ يتصفحه ويحدثني عن كل حالة.

وكان من بين الحالات هذه المرأة الفلسطينية التي يلقبها هو (بأم المعاقين).

وذكر لي أن محسناً كويتياً حينما علم بحالها وحال أولادها، جلب لها خادمةً تعينها على وظيفتها التي ليست بسهلة والله ! وتَكَفَّل هو براتبها - جزاه الله خيراً -.

فلما عُدْتُ إلى المنزل، تحدثت مع والدتي عنها فقالت لي: هذه المرأة أم أحمد أم المعاقين، صديقة جدتك (والدة والدتي)، ومنذ سنوات طويلة نجمع لها الصدقات ونوصلها لها [علما بأن جدتي توفيت عام ١٩٦٣م].

فقمت مباشرة وتحدثت مع المعارف والمحسنين عن هذه الحالات وحاجاتها، فانهالت التبرعات – كعادة أهل الكويت ومن يعيش معهم ولله الحمد – حتى بلغ نصيب الأسرة الواحدة ما لا يقل عن ٢٠٠ إلى ٣٠٠ دينار من هذه التبرعات.

ومضت السنوات على هذه العادة الحميدة، ففي كل رمضان تأتيني زكاةٌ، أخصص لهذه العوائل الوافدة المحتاجة مبلغاً مُجدياً ولله الحمد والمِنَّة.

ثم في آخر ثلاث سنوات، انقطع الرجل الصالح الذي يتفقد هذه الحالات عن هذا العمل، بعدما أعجزه كبر سنه عن الزيارة والتفقد وإيصال المال والتبرعات وحمل الحاجات المتبرع بها إليهم، هكذا بين لي عذره. لكني أُخْبِرْتُ مؤخراً - من بعض قريبات والدتي - أنه لم يعد أحدٌ من أصحابه التجار الكبار حيّاً، لقد ماتوا كلهم لكبر سنهم، ولم يعد يأتيه ما يكفيه لسد حاجات هذه الأسر، حيث لم يقم أبناء هؤلاء التجار بما كان يقوم به آباؤهم، سوى واحد أو اثنين، وجدوا دفاتر لوالدهم عن تفاصيل زكاته ومن يسلمه ويوصله.

ولقد انشغلتُ في رمضان عام ٢٠١٨م بالسفر لعلاج ابني البراء (حفظه الله وعافاه)، فلم أستطع القيام بكثير من الأعمال التي كنت أقوم بها في أثناء تواجدي في الكويت.

أما في رمضان من هذا العام ٢٠٢٠م، حيث المساجد مغلقةٌ وصلوات الجماعة معطلةٌ، فقد تفرغت لترتيب الحالات وتفقدها بالسؤال عبر الهاتف، وطلب تجديد الأوراق والبيانات، وتذكرت العم الفاضل الذي عَرَّفني بحالة (أم المعاقين)، فهاتفته وطلبت منه تزويدي بكافة البيانات وأرقام الهواتف لأحمل عنه هذه المهمة.

فبادرت بالاتصال عليهم، وتسجيل بياناتهم، وكان من بينهم أم المعاقين، وقد أخبرني العم الفاضل بوفاة زوجها المسن قبل أشهر. فاتصلت عليها، وسألت عنها، فأخبرتني أن زوجها توفي منذ ستة أشهر، فقلت: وكيف حال الأولاد؟ حينها بكت المرأة وهي تقول: الأولاد كما تعلم عن حالهم، لكن ابني الكبير –وهو أخفهم إعاقةً -، جَمَعْنا له مالاً وبعثناه إلى أمريكا للدراسة، وكنت متفائلة أن يرجع بالشهادة، ويلقى وظيفةً جيدةً، ويسد حاجتنا، لكنه ما إن ذهب هناك أصيب بالسرطان، وتوفاه الله ودفن هناك.

فدعوت له بالرحمة - ودمع قلبي يهدر رأفة على حال هذه المرأة مع الابتلاءات المتتابعة نسأل الله السلامة والعافية -، ثم قلت لها: هل من الممكن أن أسدد لكم - عن طريق بعض المحسنين - الإيجارات المتأخرة؟ قالت: ما عندنا إيجارات متأخرة، إيجار شهر إبريل ومايو سددتهم لنا فلانة الفلاني، وفلانة الفلاني. فقلت: هل من الممكن أن أبعث لكم مالاً للمصرف والطعام؟ قالت: والله ما نحتاج شيئا، أهل الخير وقريباتك لم يقصروا معي.

فقلت لها : هذا هاتفي، سأتصل بكم لسداد أجرة شهر يونيو، وإذا نقصكم شيء فاتصلوا بي.

ودَّعْتُ المرأةَ ودَعَتْ لي كثيراً ثم انتهت المكالمة.

التعليق :

سبحان الله العظيم

توفيت جدتي (أم مُحَمَّد) رحمها الله قبل أن أولد بـ ٢٢ سنة

فيشاء الله أن يسخر حفيدها (مُحَمَّد) لخدمة صديقتها بعد مرور ٥٧ سنة على وفاتها.

هذا والله من بدائع الغرائب، وعجائب المواقف

وختاماً أقول :

اليوم هو الخميس الرابع من شهر يونيو عام ٢٠٢٠م،

سأقف عند هذه الحزمة من هذا الجزء

وسأتصل على (أم المعاقين) لتفقد أحوالها وإيصال أجرة يونيو لها

والحمدلله الذي جعلني واسطة عقد بين هؤلاء المحتاجين وأولئك المحسنين

وكلنا إلى الله فقراء وراجعون.

المؤلف في

٤ / ٦ / ٢٠٢٠م

تَـمَّ

بِحَمْـدِاللهِ تَعَالى وَفَضْلِـهِ